التفاؤل والتشاؤم

وهل لهما أسباب تاريخية

بعض غرائب الخرافات عند الغربيين والشرقيين

— ٢ —

نباح الكلاب فى الليل

من الخرافات الفاشية عند أكثر الأمم وبين الفلاحين عندنا ، التشاؤم من اهلال الكلب ، أى الصياح بين الانين والنباح الغير العادى فى الليل ، ويسميه أهل الشام « العواء المقلوب » وفيه يقف الكلب وقفة متفكرة ينظر فيها الى القمر ، ويشرع فى عوائه الغريب الذى يكاد يقرب من عواء الذئب ، فيظن من يراه على هذه الحالة انه يدعو على أحد ، ويناجى القمر لعله يساعده على جعل هذه الدعوة مستجابة ، فيتشاءمون من هذا الصوت ويقولون أنه نذير شؤم يقع منه موت لأحد الناس . وأسلافنا المصريون هم فى الاغلب الأصل فى هذه الخرافة ، فقد كانوا يؤمنون أن عزرائيل يتشكل فى شكل ابن آوى ، وكانوا يرسمونه فى حفلات الجنازة والموت والحساب ، وابن آوى يشبه الكلب كثيرا فى هيئته ، وربما كان له وللكلب قديما اسم واحد ، أو ربما كان الاعتقاد سائدا بأن الكلب يتلاقح مع ابن آوى ، فلا زالت عقائد المصريين من الناحية الدينيـــة الرسمية بقيت بين الفلاحين وانتشرت بين عامة الأمم الأخرى .

وربما يرجع هذا التشاؤم الى الاعتقاد بأصل النجاسة التى يوسم بها الكلب عند العرب ، ولكن يجب ألا نبالغ فى الاعتقاد بنجاسة الكلب فان من العرب من كان يحله ويرعاه ، ويعرف له فضله فى الأمانة والحرص على مصالح مولاه . وقد قال كعب « فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب » ، تصنيف الامام أبى بكر بن خلف المرزبان فى سنة ٣٨١ هجرية :

« والكلب أيدك الله منافعه كثيرة فاضلة على مضاره بل هى غامرة لها وغالبة عليها . ولم تزل القضاة والفقهاء والعباد والولاة والنساك الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لا ينكرون اتخاذها فى دورهم ، وهم مع ذلك يشاهدونها فى دور الملوك . فلو علموا أن ذلك يكره لتكلموا ونهوا عن اتخاذها . بل عندهم أنهم إذا قتلوا الكلب كان فيه عقوبة . »

وعلى هذا النسق مضى المؤلف يعدد فضائل الكلاب ، وأتى فى الكتاب بطائفة من الاقوال البارعة والابيات اللطيفة التى قيلت فى الكلاب ومنها يتبين للقارىء نظر العرب لهذا الحيوان .

القط

يتشاءم بعض الناس بأن القط الاسود مجلبة للشر وطالع نحس وعنوان كل كارثة مقبلة . . . ويتطير الغربيون بالقط الاسود اذا عبر طريقهم . وكان الانجليز حتى عهد قريب يحتفلون سنويا بمدينة « شرفيلد » بالاتيان بقطة سوداء ، رمز الظلام ، ويضربونها بالسوط حتى تموت .

وربما يرجع هذا التشاؤم الى سواده ، والسواد رمز للحزن أو ربما يرجع الى عقائد قديمة كانت شائعة عند القدماء بشأن سواد القط .

ولا يزال الايطاليون والهنغاريون يعتقدون بأن القطة التى تنب فوق سطوح المنازل لا بد أن تكون قد تقمصتها روح ساحرة شريرة . والبراهمة على العموم يعتقدون بحلول أرواح البشر فى القطط . وذلك أيضاً هو اعتقاد أهل السيام الذين يقدمون للقطط على سبيل الهدية أقفاصاً من ذهب يضعونها فى المعابد ، وقد شوهدت قطة سوداء فى موكب الاحتفال بتتويج ملك سيام فى سنة ١٩٢٦ .

وكثيرا ما كانت القطة فى القرون الوسطى سببا فى قتل صاحبتها من العجائز لاتهامها بالسحر وكانت القطة تعتبر دليلا على ممارسة العجوز لهذا « الفن الأسود » فى الخفاء لمساعدة الارواح العديدة التى تسكن جسم القطة .

ومن الخرافات المصرية التى شاعت فى العالم أن للقطط سبع أرواح أو تسعا . وقد يعزى الى هذه الخرافة بعض القسوة فى معاملة القط ، ولكن أصلها يرجع الى حرمة القط بل الى تقديسه ، فقد كان قدماء المصريين يقدسون هذا الحيوان ويحنطون جسمه ويشيدون له المقابر ، وكانت « بشط » ربة مصرية لها رأس قطة ، وكان المصريون يعتقدون أن لها تسع أرواح .

وذكر المؤرخ اليونانى « هرا بلون » ان الاغريق كانوا يصنعون تماثيل القطط بمعبد الشمس بمدينة هليوبوليس ، لان عين هذا الحيوان تتبع الشمس فى انتقالها فى الأفق وقد عثر المنقبون فى سنة ١٨٩٠ على مقبرة كبيرة بجهة بنى حسن موجود فيها جثث القطط

المحنطة موضوعة فى صفوف منظمة ، ولسوء الحظ أن الفلاحين تشاءموا من وجودها فأحرقوها .

وبدأ الناس فى فجر المسيحية يمقتون آلهة الاقدمين فاعتبروا القطة رمزاً للشيطان ومجلبة للشر .

قتل الثعبان

من اغرب العادات عند بعض سكان مصر انه لا يرضى بقتل ثعبان البيت ويتشاءم من هذه الفعلة اذا حدثت ، وقد كان الثعبان مؤلها عند اسلافنا . فالحرمة التى يحوطه به بعضنا الآن هى فى الحقيقة حرمة دينية نسينا اصلها وغايتها وبقى رسمها .

نعل الفرس

يتفاءل الناس بنعل الفرس ويعلقونها على الحوانيت وابواب المنازل لتجلب السعد لساكنيها . ومن وجد نعلا فى الطريق عد ذلك حظا حسنا يستأنس به طول يومه بل طول عامه .

واصل هذا الاعتقاد ، أن نعل الفرس كانت فى الزمن القديم رمز الربة «عشتروت» فكان كل من يجد نعلا يتفاءل بها كأن الربة قد اهدتها اليه ، وربما يرجع أيضا الى أنها تشبه الهلال

ونعل الفرس حديثة العهد فى التاريخ لأنه لا يمكن ان يعدو تاريخ الحديد المصنوع منه . والحديد لم يعرف الا منذ ثلاثة آلاف سنة . ولذلك قد يتوهم الانسان ان الاعتقاد فى حسن الحظ من النعال هو من مبتكرات المتمدنين الذين عرفوا الحديد ، وأن المتوحشين لا علاقة لهم بهذا الاعتقاد ، ولكن الحقيقة ان هذه الخرافة آتية من المتوحشين نزلت منهم الى المتمدنين . فنعل الفرس تشبه الهلال الجديد . والمرجح أن الانسان كان يصنع هلالا من خشب او عظم للتيمن ، فلما ظهر الحديد صار يصنعه من الحديد . ثم لما عرف نعال الخيل استغنى بها الانسان عن الأهلة القديمة وصار يعلقها على الابواب والحوانيت بدلا منها ، للشابهة ، وبدلا من أن يرسم الهلال . والاوربيون يتفاءلون بهامثلنا ويتعلقون بهذه العادة اكثر منا .

يتبع

ابراهيم تادرس بشاى

المعتصم بن صمادح

على فراش الموت

للدكتور عبد الوهاب عزام

الاندلس فى أمر مريج ، زال عنها سلطان الخلافة فاضطربت ، وفقدت رواسيها من بنى أمية فمادت . وأصبحت كرقعة الشطرنج يتغالب الملوك على كل بيت فيها . كل قوى يجوز ما وسع حوله وهمته ، والعيش غلاب . «والبر أوسع والدنيا لمن غلبا»

فى هذا المعترك ملك محمد بن أحمد بن صمادح التجيبى (مدينة (وشقة) وملك بنو عمه مدينة (سرقسطة) . ثم غلبوه على مدينته

ثم ملك ابنه معن بن محمد مدينة (المرية) غصبها من عبد العزيز ابن أبى عامر . وخلفه ابنه أبو يحيى المعتصم بالله وهو فى سن الرابعة عشرة . نشأ فى ملك ضيق الرقعة ، فاستعاض منه سعة الخلق وبعد الهمة ، وحلية العلم والادب ، والسخاء الشامل ، والجود العمم ، حتى طاول المعتمد بن عباد كبير ملوك الطوائف ونافسه ، وحتى قال أمير المسلمين يوسف بن تاشفين حينما لقيهما بالاندلس . « هذان رجلا هذه الجزيرة » .

قال ابن خلكان :

« وكان رحب الفناء ، جزيل العطاء ، حليما عن الدهماء ، طافت به الآمال ، واتسع فى مدحه المقال ، وأعملت الى حضرته الرحال ، ولزمه جماعة من فحول الشعراء »

وقال الفتح بن خاقان:

« ملك أقام سوق المعارف على ساقها ، وأبدع فى انتظام مجالسها واتساقها ، وأوضح رسمها ، وأثبت فى جبين أيامه وسمها . لم تخل أيامه من مناظرة ، ولا عمرت الا بمذاكرة أو محاضرة ... وكانت دولته مشرعا للكرم ، ومطلعا للهمم ، فلاحت بها شموس ، وارتاحت فيها نفوس . ونفقت فيها أقلام الاعلام ، وتدفقت بحار الكلام ، كاجادة ابن عمار وإبداعه ، فى قوله معتذراً من وداعه .

أمعتصما بالله والحرب ترتمى بابطالها والخيل بالخيل تلتقى